

مختصر ابن كثير

51 - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين .

52 - فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين .

53 - ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين .

ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهل قاتلهم الله ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال : { ومن يتولهم منكم فإنه منهم } الآية . قال ابن أبي حاتم عن سماك بن حرب عن عياض : أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد وكان له كاتب نصراني فرفع إليه ذلك فعجب عمر وقال : إن هذا لحفيظ هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام ؟ فقال : إنه لا يستطيع فقال عمر : أجنب هو ؟ قال : لا بل نصراني قال : فانتهرني وضرب فحذي ثم قال : أخرجوه ثم قرأ : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء } الآية . وقوله تعالى : { فترى الذين في قلوبهم مرض } أي شك وريب ونفاق يسارعون فيهم أي يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر (المراد عبد الله بن أبي بن مالك ونسب إلى أمه فقيلا ابن سلول) { يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة } أي يتأولون من في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من طفر الكافرين بالمسلمين فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك عند ذلك قال الله تعالى : { فعسى الله أن يأتي بالفتح } يعني فتح مكة وقيل : يعني القضاء والفصل { أو أمر من عنده } قال السدي : يعني ضرب الجزية على اليهود والنصارى { فيصبحوا يعني الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين } على ما أسروا في أنفسهم { من الموالاة } نادمين { أي على ما كان منهم مما لم يجد عنهم شيئا ولا دفع عنهم محذورا بل كان عين المفسدة فإنهم فضحوا وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين بعد أن كانوا مستورين لا يدري كيف حالهم فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون أنهم من المؤمنين ويحلفون على ذلك ويتأولون فبان كذبهم وافتراؤهم ولهذا قال تعالى : { ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين } .

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآيات الكريمات فذكر السدي : أنها نزلت في رجلين قال

أحدهما لصاحبه بعد وقعة أحد : أما أنا فإن ذاهب إلى ذلك اليهودي فأوي إليه وأتهود معه لعله ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث وقال الآخر : أما أنا فأني ذاهب إلى فلان النصراني بالشام فأوي إليه واتنصر معه فأنزل ا : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء { الآيات . وقال عكرمة : نزلت في (أبي لبابة بن عبد المنذر) حين بعثه رسول ا صلى ا عليه وسلّم إلى بني قريظة فسألوه ماذا هو صانع بنا ؟ فأشار بيده إلى حلقه أي أنه الذبح . قيل : نزلت في عبد ا بن أبي بن سلول كما قال ابن جرير : جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقال : يا رسول ا إن لي موالي من يهود كثير عددهم وإني أبرأ إلى ا ورسوله من ولاية يهود وأتولى ا ورسوله فقال عبد ا بن أبي : إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم لعبد ا بن أبي : " يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه " قال : قد قبلت فأنزل ا D : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء { الآيتين . وقال محمد ابن اسحاق : لما حاربت بنو قينقاع رسول ا صلى ا عليه وسلّم تشبث بأميرهم (عبد ا بن أبي) وقام دونهم ومشى (عبادة بن الصامت) إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد ا بن أبي فجعلهم إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم وتبرأ إلى ا ورسوله من حلفهم وقال : يا رسول ا أبرأ إلى ا وإلى رسوله من حلفهم وأتولى ا ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم ففيه وفي عبد ا بن أبي نزلت الآيات في المائدة : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض { إلى قوله : { ومن يتول ا ورسوله والذين آمنوا فإن حزب ا هم الغالبون { . وقال الإمام أحمد عن أسامة بن زيد قال : دخلت مع رسول ا صلى ا عليه وسلّم على عبد ا بن أبي نعوذه فقال له النبي صلى ا عليه وسلّم : " قد كنت أنهاك عن حب يهود " فقال عبد ا : فقد أبغضهم أسعد بن زرارة فمات وكذا رواه أبو داود